الدرس النحوي بالجامعة المغربية، دراسة نقدية للملفات الوصفية جامعة سيدي محمد بن عبد الله

د. عبد الواحد بوعرفاوي
باحث في اللسانيات والنحو
كلية الآداب، سايس- فاس
المغرب

ملخص:

الهدف الأساس من هذه المقالة هو إثارة الانتباه إلى موضوع تدريسية النحو العربي بالمستوى الجامعي، والذي يشكل مدخلا أساسيا من بين مداخل اللغة العربية، باعتباره عمود اللغة؛ إذ لا يمكن أن نتحدث أو نتصور لغة دون قواعد وقوانين يسير عليها المتكلم. ولا شك أن العناية بهذا المدخل تحتم تحقيق الشروط العلمية والضوابط البيداغوجية والديداكتيكية الكافية والملائمة، للوصول إلى أعلى مستويات تحقيق مخرجاته. ومناسبة هذا الكلام هي السعي إلى الإجابة عن سؤال إشكالي هو ما يلي: هل فعلا أخذ درس النحو بالجامعة المغربية حقه الكافي من العناية ليكون منهاجه بها مستوفيا لتلك الشروط والضوابط؟ وفي سبيل تحقيق إجابة واضحة عن هذا السؤال الاشكالي، قمنا بدراسة نقدية تحليلية للملفات الوصفية الخاصة بتدريس هذه المادة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله على الخصوص لأن غيرها بمثابتها من جهة، ولأن الملفات الوصفية متشابهة إلى حد كبير في الجذر الوطني المشترك من جهة أخرى.

كلمات مفتاحية: المستوى الجامعي؛ البيداغوجيا الجامعية؛ الملف الوصفي؛ النحو العربي.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

بوعرفاوي، عبد الواحد. (2024، دجنبر). الدرس النحوي بالجامعة المغربية، دراسة نقدية للملفات الوصفية - جامعة سيدي محمد بن عبد الله. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 9 (الجزء 2)، السنة الأولى، ص 31-44.

Abstract:

The primary aim of this article is to highlight the topic of teaching Arabic grammar at the university level, which serves as a crucial entry point into the Arabic language. It is essential to ensure that this entry is supported by adequate scientific standards and suitable pedagogical and didactic regulations to achieve optimal outcomes. This leads to a critical question: Has the Arabic grammar course in Moroccan universities received the necessary attention to ensure that its curriculum meets these standards and regulations? To provide a clear answer to this question, we conducted a critical analytical study of the descriptive files related to the teaching of this subject, specifically focusing on Sidi Mohamed Ben Abdellah University. This choice is justified because it is comparable to other institutions in this regard, and because the descriptive files are largely similar due to a shared national framework.

Keywords : university level, university pedagogy, descriptive file, Arabic grammar.

مقدمة

ظل الحديث عن علم التدريس لزمن طويل مرتبطا بالتعليم ما قبل الجامعة، لا من حيث الكتب المؤلفة في علم التدريس العام، أو في علم التدريس الخاص بكل مادة مدرّسية، وبقي التدريس بالجامعة بعيدا عن الممارسة الديداكتيكية؛ حيث ساد الاعتقاد لزمن طويل، أن التدريس بهذا المستوى يرتبط بالمعرفة العالمة التي يحتاجها الطالب للتمكن المعرفي من التخصص المدرّس، وأن العلاقة بينه وبين الأستاذ الجامعي تتمحور حول اكتساب المعرفة بالأساس.

1. في حاجة إلى بيداغوجية بالجامعة:

على الرغم من الاهتمام الذي يحظى به البحث التربوي في مناهج اللغة العربية وغيرها من المواد ما قبل المرحلة الجامعية، فإن الاهتمام لم يوجه بالشكل المطلوب للمناهج الجامعية* "إذ تنذر البحوث البيداغوجية في التعليم الجامعي اكتفاء بخبرة الأستاذ المعرفية، وتعويلا على التعلم الذاتي والتكوين المستقل للطالب دونما حاجة إلى تخطيط وتقنين للعملية التعليمية، ولعمري إن هذا لمن الأخطاء القاتلة التي جنت على التدريس في الجامعة"[2].

وتجمع أغلب الدراسات التي تناولت مسألة تدريس النحو العربي -باعتباره أهم فروع اللغة العربية- في مراحل التعليم المختلفة إلى وجود صعوبات في عملية تعليمه، واختلفت بعد ذلك التجارب والدراسات المتبعة في الكشف عن أسباب ذلك، وفي اقتراح أساليب المعالجة. وهذا كله لن يتأتى إلا إذا روعيت استراتيجية تربوية واضحة "كواقع إجرائي فعلي اقتضته الحتمية المعرفية والتاريخية"[3].

وتأسيسا على ذلك، يمكن القول بأن رسم مجالات وآفاق البحث التربوي في مناهج تدريس مادة النحو العربي بالجامعة، يقتضي وبالضرورة رؤية استراتيجية واضحة، والاجتهاد في أجرأتها بما يراعي خصوصية المرحلة الجامعية وأهدافها، وخصوصية المحتوى المدرس، وخصوصية طرق

* يمكن تعريف المنهاج الجامعي بأنه: تخطيط شامل ومتكامل، يؤطر مسالك التخصصات بالجامعة، تتضمنه أهدافا، ومحتوى وطرائق للتدريس والتقويم، ويهدف إلى تأهيل الطالب نظريا وعلميا ليكون في المستوى المطلوب، من خلال توظيف مكتسباته في الاستجابة لحاجات المجتمع العلمية والتعليمية، والدينية والتربوية والاجتماعية.

[2] صادقي مصطفى، منهاج تدريس الفقه دراسة تاريخية تربوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 2012، ط1، ص 21.

[3] ويا الحسين، مقاربات تربوية جديدة، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2008، ص 24.

وأساليب التعليم والتقويم التي ينبغي أن تتميز بالإبداع والدقة. وهو نظر لا يلغي الجهود المبذولة من قبل بعض المسالك المتخصصة وبعض مختبرات البحث ومسالكه بالجامعة المغربية، غير أن هذه الجهود تحتاج تعريف واستثمار قراءات وصفية وتحليلية ونقدية إسهاما في تطوير البحث التربوي في هذا المجال.

وهذا ما يفسر التوجه الجديد للوزارة الوصية على قطاع التعليم من خلال إحداث إجازات مهنية تربوية، وماسترات متخصصة في المجال التربوي في المؤسسات الجامعية ذات الاستقطاب المفتوح، هذا التوجه الذي من شأنه أن يسهم في الرفع من الوعي بقيمة الممارسة الديداكتيكية بهذه المؤسسات، ويفتح آفاقا واسعة لتطوير البحث التربوي في الظواهر التربوية، وعناصر المنهاج التربوي الجامعي.

وتحقيق هذا الهدف يرتكز أيضا على طبيعة التعليم الجامعي المعاصر وما يقتضيه من أسس علمية ومنهجية وتربوية، يتعين الاستناد إليها في بناء المناهج، فكلما نجحت المؤسسات الجامعية في أداء دورها انعكس ذلك إيجابا على المجتمع، ومن هنا، تقتضي الضرورة إعادة النظر في نظام التعليم الجامعي وتطويره كضرورة ملحة.

ومسوغ ذلك بأن: "البيداغوجية الجامعية تعمل بنفس المنطلقات النظرية وبنفس الطرق والوسائل التي تعمل بها البيداغوجية في المستويين الثانوي والابتدائي والفرق الأساسي هنا يكمن في المستوى الدراسي، وهو غير كاف بالطبع لتأسيس مجال تخصصي ذي كيان مستقل"[1]. فعلى الرغم من التوجهات الحديثة والجهود البحثية المطالبة ببيداغوجية جامعية تبقى محدودة وغير موجهة بالشكل المطلوب في ظل غياب استراتيجية تربوية واضحة.

2. الغاية من تدريس النحو العربي

تتمركز أهمية النحو حول تكوين الملكة اللسانية الصحيحة، لا حفظ القواعد المجردة، فالعربي الأول الذي أخذت اللغة عنه لم يكن يدري ما الحال وما التمييز، ولم يعرف الفرق بين المبتدأ والفاعل، فكل هذه الأسماء سماها علماء النحو عندما وضعوا قواعد للغة لحفظها من اللحن، "لكن علماء النحو تأثروا بالأساليب الفلسفية والمنطقية، فبالغوا في مسائل الذكر

[1] المروني المكي، البيداغوجية الجامعية، أعمال الندوة المغاربية: علوم التربية والتنمية، مجلة التدريس، ع 17، كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس السويسي، الرباط، 1991، ص 110.

والحذف، والتقديم والتأخير... وخرجت دراسة النحو عن الغرض الذي وضع من أجله، وهو خدمة اللغة العربية في مستوياتها المختلفة، قولا، وقراءة، وكتابة"[1].

وإذا كانت الغاية من تدريسية النحو هو جعلها سبيلا إلى تصحيح الكلام وضبطه فواجب علينا أن نكتفي منها بالقدر الذي يعيننا على تحقيق هذه الغاية. ولهذا دعا الجاحظ إلى ضرورة تعليم النحو الوظيفي الذي يجري في المعاملات، والتمييز بين النحو كعلم والنحو كتعليم، جاء ذلك في قوله:" وأما النحو فلا تشغل قلبه (قلب الصبي) منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به"[2].

ومعنى هذا أن النحو وسيلة لا غاية في حد ذاته، إن له بعدا وظيفيا، يمكّن من التواصل الجيد والسليم بتلك اللغة في مقامات متعددة، وهو ما بينته بعض الوثائق الرسمية، مجسدة في البرامج والتوجيهات التربوية الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية (2007) متمثلة في الإشارات التالية:[3]

- التعامل الوظيفي مع الدرس اللغوي على أساس التكامل بين الوحدات والمكونات؛
- التركيز على البعد الوظيفي والتداولي لعلوم اللغة؛
- اتخاذ أنشطة علوم اللغة بعدا وظيفيا، يخدم النصوص الأدبية، مما يقتضي مقاربتها بعمق مع التركيز على الجانب التطبيقي منها لتحقق الغاية التي تستهدفها.

كما يكتسي درس النحو بعدا وظيفيا "يرصد كفاية الظواهر المدروسة في تحليل النصوص الأدبية وقراءتها، وهو ما يستوجب عدم الانغلاق داخل هاجس استخلاص القواعد الضابطة للظاهرة، للتفكير في كيفية إدماجها أثناء تحليل النصوص، وذلك بالتركيز على الجانب التطبيقي فيها لتحقيق الغاية التي تستهدفها"[4]. وبالتالي تداخل البعدين الوظيفي والمعرفي في منهجية تدريس النحو العربي.

---

[1] محمد عيد، في اللغة ودراستها، القاهرة، عالم الكتب، 1974، ص 199-200.

[2] الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط1، مصر 1979، ص38.

[3] مديرية المناهج، التوجيهات التربوية الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، المغرب، 2007، ص16.

[4] نفسه.

3. مستويات النحو العربي:

ميّز القدماء فيما يرتبط بمسألة النحو بين مستويين: مستوى النحو العلمي والنحو التعليمي. فالنحو العلمي هو تلك القواعد والمعايير التي وضعها النحاة الأوائل، يتعمق فيها الباحثون المتخصصون بهدف وصف الظواهر النحوية وتفسيرها تفسيرا دقيقا.

أما النحو التعليمي فيقوم على أسس لغوية ونفسية وتربوية، يرتكز من خلالها على ما يحتاجه المتعلم، فيستثمر بعض المفاهيم أو المصطلحات النحوية ليأخذ منها أصولا، فهو نحو وظيفي تساعد معرفته على التحكم في قواعد اللغة واستعمالاتها، كما يستخدم المتعلم من خلاله مختلف البنى التركيبية بطريقة آلية قياسية وإبداعية في الوقت ذاته. فهو ذلك المستوى الوظيفي النافع لتقوية اللسان وسلامة الخطاب.

فالنحو التعليمي يبحث في كيفية إيصال التراث النحوي العربي إلى المتعلم منذ نشأته، بطريقة سهلة، تبعده عن الوقوع في متاهات التحليل والتعليل الفلسفي، كما يمكن القول بأن النحو التعليمي هو تسلسل الأبواب النحوية التي تم إعدادها لفئة معينة من المتعلمين في فترة تربوية معينة تلبية وتحقيقا لأهداف تعليمية ترتبط في جوهرها ببناء الملكة اللغوية التبليغية.

فالنحو العلمي إذن، هو مجموعة القواعد الضابطة للنظام اللغوي المدروس، والتي يتوصل إليها المتخصص بعد تطبيقه منهجا علميا معينا.

4. قراءة في الملف الوصفي لوحدة النحو بالجامعة.

كان من الضروري بما كان أن نجرد جميع المواضيع المقررة في الملف الوصفي الخاص بوحدة النحو في الفصول الثلاث الأولى من سلك الإجازة، والتي من خلالها نحكم عليه بوصفه وتحليله وتقديم ملاحظات، ولنتعرف أيضا على المعايير التي يستند إليها واضعو هذه الملفات الوصفية وفق متطلبات العملية التعليمية، والجدول التالي يوضح جميع المواضيع المقررة:[1]

[1] ينظر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر، الملف الوصفي، لنيل شهادة الإجازة في شعبة اللغة العربية وآدابها، 2014.

الفصول	المواضيع
الفصل الأول	• **أقسام الكلام:** ✓ الاسم: - تعريف الاسم؛ - أنماط الاسم؛ - علامات / سمات الاسم (التعريف، الإعراب، التطابق)، الإضافة. ✓ الفعل: - تعريف الفعل؛ - أنماط الفعل؛ - علاماته؛ - تطبيقات. ✓ الحرف: - تعريف الحرف؛ - أنماط الحرف؛ - خصائص الحرف (المعنى، الإعراب، الرتبة...)؛ - تطبيقات. • **البناء والإعراب:** ✓ العامل: - تعريف العامل؛ - أنواع العامل؛ - المعاني النحوية؛ - تطبيقات. ✓ الإعراب: - تعريف الإعراب؛ - الإعراب اللفظي والمحلي...؛ - الإعراب التقديري والإعراب بالنيابة؛ - تطبيقات. ✓ البناء: - تعريف البناء؛ - أنواع البناء؛ - المصروف والممنوع من الصرف؛ - تطبيقات.

الفصول	المواضيع
الفصل الثاني	**أنماط الجملة البسيطة في اللغة العربية:** ● **الجملة الإسمية:** - أنماط الجملة الاسمية؛ - خصائص المبتدأ (الإعراب، التعريف، الرتبة...)؛ - خصائص الخبر (الإعراب، التعريف، الرتبة...)؛ ● **النواسخ:** ✓ أنواع النواسخ: - النواسخ الفعلية؛ - النواسخ الحرفية؛ ✓ تطبيقات. ● **الجملة الفعلية:** ✓ أنماط الجملة الفعلية؛ ✓ رتبة المكونات (الفعل، الفاعل، المفعول، الملحقات)؛ ✓ الفاعل: - تعريف الفاعل؛ - أنواع الفاعل؛ - خصائص الفاعل (الرتبة، الإعراب، التطابق...). ✓ تطبيقات.
الفصل الثالث	**أنماط الجملة المركبة (أمثلة دون الدخول في التفاصيل)** ● **المنصوبات:** ✓ التعدي واللزوم: - المفعول به (رتبته، إعرابه، تعدده..)؛ - تطبيقات. ✓ الملحقات؛ - المفعول المطلق؛ - المفعول لأجله؛ - الاستثناء؛ - الحال؛ - التمييز. ✓ تطبيقات.

الفصول	المواضيع
	• التوابع: ✓ أنواعها وتعريفها: - النعت؛ - التوكيد؛ - البدل؛ - العطف؛ ✓ خصائصها النحوية: - الإعراب؛ - التطابق؛ - الرتبة.
الفصل الرابع	مادة النحو غير مبرمجة.

الجدول رقم (1): المواضيع الخاصة بمادة النحو العربي

انطلاقا من هذا الجدول يمكن تقديم الملاحظات التالية:

- **اختيار الموضوعات المقررة:**

الملحق الذي بين أيدينا، يعطينا فكرة على أهمية التركيز على اختيار القضايا الأساسية الأولية، والتي تعد بنية علمية أساسية لكل طالب لتمكن من فهم درس النحو العربي. فموضوعات الفصل الأول تتميز بتقديم معلومات أولية حول النحو العربي، وذلك قبل الانتقال إلى مستويات متقدمة، الشيء الذي يعطينا فكرة على أن هذه المواضيع تراعي مبدأ التدرج المطلوب في تقديم المحتوى.

وما يمكن التنبيه إليه أيضا هو أن هناك مزج بين النحو العلمي والتعليمي في اختيار الموضوعات المقدمة وخاصة في الفصل الأول، وهذا أمر طبيعي ما دام المتعلم يلتحق بالجامعة ولديه نقص في هذه المادة.

والملاحظ أن الموضوعات المقدمة في مادة النحو العربي تتفاوت من سنة إلى أخرى من حيث الصعوبة، سواء من حيث القضايا أو الموضوعات المقدمة، وهو عنصر يعطينا فكرة على أن اختيار هذه الموضوعات يتم وفق معايير محددة وبناء على خلفية معرفية معينة مبنية على دراسة علمية تأخذ بعين الاعتبار مستوى الطالب واحتياجاته التعليمية.

- **التدرج في الموضوعات:**

ما نلاحظه في الجدول السابق لخير دليل على أن هناك ترتيب وتدرج في تقديم القضايا النحوية، بحيث يدرس الطالب في الفصل الأول الكلام وما يتألف منه، مرورا بخصائص أقسام الكلم، وانتهاء بباب الإعراب والبناء، وبعد كل محور نجد تطبيقات، على اعتبار أن درس النحو لابد أن تتخلله تطبيقات لمعرفة هل فعلا تحقق التعلم أم لا، وعلى اعتبار كذلك أن درس النحو درس تطبيقي أكثر منه نظري.

والملاحظ أن الحصص التطبيقية منه تأتي كمرحلة بعد الحصص النظرية، على اعتبار أن "التطبيق هو استعمال التمثلات المجردة وتوظيفها في حالات خاصة وجديدة، إن التمثلات سواء أكانت أفكارا، أو قواعد، أو مناهج، أو نظريات يتم تذكّرها وفهمها ثم تطبيقها في مواقف محددة وجديدة وعلى حالات لم يسبق التعامل معها من قبل"[1]. ونفس الشيء نجده مع درس النحو، فالمتعلم يدرس موضوعا ثم يأتي تطبيق ما درسه من خلال حصص تطبيقية عن طريق تمارين وتطبيقات، ومنه تتحدد نسبة فهم الطالب للموضوع من عدمه، فكلما زادت نسبة الحصص التطبيقية من خلال استعمال طرائق ناجعة واتباع خطوات علمية كلّما زاد الفهم وتحقق فعل التعلم.

من هنا كان لابد من التركيز على الجانب التطبيقي في تعليم النحو العربي ومصطلحاته. فلا يكفي فهم القواعد وحفظها، بل لابد من التطبيق عليها، أو توظيفها توظيفا سياقيا والتمرن عليها.

فلا يمكن أن نغفل الجانب التطبيقي من درس النحو العربي بالمستوى الجامعي، فإلى جانب المعطيات المعرفية النظرية، يجب أن نراعي تثبيتها بوجوه التطبيق المختلفة، لأن هناك من لا يلتفت إلى هذا الجانب معتبرا أن الطلبة قد وصلوا درجة تسمح لهم باستخدام القواعد النحوية وتوظيفها في سياقات طبيعية توظيفا سليما، وهذا خلل كبير في المسيرة العلمية التعليمية وجب تجاوزه بإعطاء الأهمية الكبيرة لهذا الجانب.

كما لابد من الحرص على التدرج في تدريس مختلف القضايا النحوية؛ "فلا يمكن الحديث عن المنصوبات والمرفوعات، إذا كان الطالب لا يميز بين الاسم والفعل والحرف، ولا يعرف المبني من المعرب من أقسام الكلم. لذا، ينبغي التركيز على المفاهيم النحوية الأساسية التي تعد متطلبا

[1] محمد الدريج، مدخل إلى علم التدريس- تحليل العملية التعليمية- قصر الكتاب، البليدة، 2000، ص 49.

أساسيا في كل فصل، فلا يعقل أن يدرس الطلبة إعراب الجمل، وهم لم يتمكنوا بعد من إعراب المفردات"[1].

ويمكن الحديث عن نمطين من التدريج في تدريس النحو العربي؛ التدريج الدوري والتدريج الطولي، فالتدريج الدوري "على نقيض التدريج الطولي؛ إذ ينهض على مبدأ مستقى من النظرية اللغوية التي تقرر أن اللغة نظام من الأنظمة أو هي شبكة من العلاقات، وأنك لا تستطيع أن تعرف شيئا ما من اللغة إلا بعد أن تعرف العلاقات التي تربطه بالأشياء الأخرى، وهكذا فإن المفردة لا تقدم دفعة واحدة، ولا تعرض عرضا شاملا، وإنما يقدم منها جانب واحد، مع جوانب أخرى لمفردات أخرى، ثم تعود إليها بتقديم جانب ثان، ثم ثالث، وهكذا... وهذا مهم جدا في الاستعمال اللغوي، وهو ما يجعل تعليم العربية أسرع حين يجد المتعلم نفسه قادرا على استعمال ما يتعلمه، وفي ذلك تقوية لدافعيته لتعلم اللغة"[2].

أما التدريج الطولي فهو عكس ما ذكر، حيث يقوم على تقديم كل "مفردة" من مفردات المحتوى دفعة واحدة تقديما مفصلا، والهدف من ذلك كله أن يتقن المتعلم كل مفردة قبل أن ينتقل إلى غيرها، ومما " لا شك فيه أن هذا النوع من التدريج يفضي إلى خلل كبير في تعليم اللغة، وقد ظهرت اعتراضات قوية على تطبيقه لأسباب واضحة أهمها؛ أن تقديم المفردة دفعة واحدة يؤدي إلى دراستها دراسة مكثفة لكنها تسقط في النسيان والتجاهل بعد ذلك"[3]، وصحيح أن الملف الوصفي يشمل على تطبيقات بعد كل باب نحوي لكنها لا تستطيع أن تعالج هذا الخلل.

- **غياب مادة الصرف:**

موضوع علم الصرف هو "معرفة أنفس الكلم الثابتة. والنحو إنما لمعرفة أحوالها المتنقلة. ألا ترى أنك إذا قلت: قام بكر، ورأيت بكرا ومررت ببكر، فإنك خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل. ولم تَعْرِض لباقي الكلمة. وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابت ينبغي أن يكون أصلا

[1] دة. سميرة حيدا، الدرس النحوي بالجامعة المغربية -الواقع والمأمول- ورقة قدمت ضمن أعمال الندوة الدولية البحث التربوي وتجديد المناهج التعليمية، مطبعة آنفو، المغرب، 2017، ص 184-185.

[2] عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، مصر، 1995، ص 74-75.

[3] نفسه، ص74.

لمعرفة حالته المتنقلة"[1]. وما يجب أن يكون هو أن تدرس مادة الصرف في الفصل الأول، والواقع أنها تدرس في الجامعة في الفصل الرابع.

لقد كان من العلمية أن تدرج مادة الصرف في الفصل الأول، وأن تدرّس بالموازاة مع مادة النحو، فالصرف يهتم بمعرفة أنفس الكلمة الثابتة وما يطرأ عليها من تغيرات ناشئة عن التغيرات التي تحدث على بنية الكلمة المفردة، وهو بهذا الوصف يسبق دراسة النحو الذي يهتم بمعرفة أحوال الكلمة داخل التركيب. وطبائع الأشياء تقتضي الانتقال من البسيط إلى المركب، وعلى هذا ينبغي لمن أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة الصرف، لأن كثيرا من قضايا النحو لا يمكن فهمها إلا إذا تم تناولها صرفياً؛ لأن المفاهيم الصرفية تعد مدخلا أساسيا إلى درس النحو لفهم قضاياه.

إذ كيف يمكن فهم عمل اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر واسم تفضيل والصفة المشبهة وغيرها من الأبواب، إذا كان الطالب غير ملمّ بأبسط قواعد هذه القضايا التي تعد قضايا صرفية محضة، لذا، فإن فهم الصيغة الصرفية مرحلة سابقة وأساسية لفهم القضايا النحوية المتعددة. مع ضرورة الفصل بين مصطلحات الصرف والنحو لتداخلهما في كثير من الكتب النحوية، ومن أمثلة هذه المصطلحات نجد: الفعل الناقص، الصرف والممنوع من الصرف، الصفة والوصف...

وهذا لا ينفي أن مدرسي مادة النحو بالجامعة لا يقدمون إضافات خاصة بمادة الصرف في حصص مادة النحو، فقد تبين انطلاقا من المعاينة وتتبع العملية التعليمية التعليمة من خلال الحضور إلى بعض المحاضرات الخاصة بتدريس هذه مادة أن مدرسيها يقدمون إضافات كلّما تطلب الأمر ذلك، لكن تبقى غير كافية ومشوشة في بعض الأحيان.

- **غياب مادة النحو في الفصل الرابع:**

يتبين انطلاقا من الجدول أن مادة النحو العربي أدرجت في الفصول الثلاثة الأولى وغابت في الفصل الرابع، فما هو إذن تفسير هذا الغياب؟ في الفصل الرابع تعوض مادة النحو بمادة الصرف، وبهذا الشكل نكون قد خالفنا التراتبية المنطقية لتدريس كل من مادة النحو والصرف، والسؤال المطروح هو هل ما تعلمه الطالب في الفصول الثلاث من باب الكلام وما يتألف منه وباب البناء والإعراب، وباب المرفوعات، وباب المنصوبات كفيل بجعل الطالب مستوعبا للنحو العربي؟

[1] ابن الجني، المصنف في شرح كتاب التصريف للمازني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة، ط1، ج1، 1954، ص 4.

- **الأهداف التعليمية ومدى حضورها:**

رغم أننا نتحدث عن المستوى الجامعي إلا أن الحديث عن الأهداف التعليمية أمر في غاية الأهمية، إذ هو حديث عن المرامي والغايات التي يتم تحديدها من طرف الوزارة، والجدول[1] التالي يوضح أهم الأهداف المسطرة في مادة النحو:

الفصل	الأهداف التعليمية
الفصل الأول (نحو1)	- إكساب الطالب المعرفة اللازمة في مجال الدراسات النحوية. - التمييز بين أقسام الكلام والتعريف بخصائصه. - التفريق بين المعرب والمبني - تمكين الطالب من النطق السليم والكتابة والفهم من خلال التطبيق.
الفصل الثاني (نحو2)	- إكساب الطالب المعرفة اللازمة في مجال الدراسات النحوية. - التعمق في فهم الجملة الاسمية ومكوناتها ونواسخها مما يعمل الرفع والنصب. - تنمية مهارات الطالب وقدراته على فهم القواعد من خلال التطبيق. - تمكين الطالب من تكوين التراكيب اللغوية السليمة.
الفصل الثالث (نحو3)	- التعمق في فهم الجملة الفعلية ومكوناتها. - تنمية مهارات الطالب وقدراته على فهم القواعد من خلال التطبيق. - تمكين الطالب من النطق السليم والكتابة والفهم الصحيحين من خلال التطبيق.

الجدول رقم (2): الأهداف التعليمية الخاصة بمادة النحو العربي

انطلاقا من الجدول أعلاه يمكن استنتاج النقاط التالية:

الأهداف التعليمية ضرورية في إطارها العام، وتكون أكثر أهمية إذا تعلق الأمر بمادة النحو العربي، والملاحظ أن الأهداف تحددها الوزارة، والأحق أن يحددها مدرس المادة، لأنه يجب أن ينطلق من حيث يوجد الطالب. ومن الواضح أن كل مادة تحمل أهدافا ينبغي العمل قصد تحقيقها، فما المرجو من تدريس النحو العربي في الجامعة؟ هل هو اكساب ملكة لغوية أم الاطلاع على الكتب القديمة أم البحث والتعمق في المادة؟

[1] ينظر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر، الملف الوصفي، لنيل شهادة الإجازة في شعبة اللغة العربية وآدابها، 2014.

في الواقع لا يمكن أن نتحدث عن الملكة اللغوية في الجامعة، لأن النحو في المراحل الأولى من التعليم هدفه اكتساب ملكة لغوية، لكن نظرا للضعف العام في هذه المادة أصبح لابد أن يدرج هذا في المستوى الجامعي، لأن الطالب يلتحق بالجامعة وهو يشكو من الطرائق المتبعة في تدريس النحو في المراحل التعليمية ما قبل الجامعة، لذلك نجده ذا مستوى متدبدب غير قادر على التعبير بلغة سليمة، وهذا ما يحول بينه وبين تعلم النحو بالجامعة.

والملاحظ من خلال الأهداف التعليمية المسطرة في الملف الوصفي، هو أن هدف تمكين الطالب من النطق السليم والكتابة والفهم الصحيحين من خلال التطبيق مدرج في وحدة النحو (1) (الفصل الأول) ووحدة النحو (3) (الفصل الثالث)، وليس مدرجا في وحدة النحو (2) (الفصل الثاني)، لماذا؟ وهل يحتاج الطالب في الفصل الثالث أن يتعلم النطق السليم والكتابة والفهم من خلال التطبيق؟ لن ننكر الاختلاف الكائن بين التعليم في المستويات الأولى ما قبل الجامعي والمستوى الجامعي، لكن هل هذا يعني غياب التخطيط الهادف لوضع الأهداف؟ هي أسئلة تحتاج إلى إعادة النظر في الأهداف التعليمية الخاصة بدرس النحو العربي بالجامعة.

- **طرائق التدريس وأدوات التقويم بين الحضوروالغياب**

يعد تنويع طرق التدريس مدخلا أساسيا من بين أهم المداخل لتجويد مخرجات درس النحو العربي، ومهما اختلفت طرائق تدريسه وتنوعت إلا أنه يمكن تبويبها واختزالها في طريقتين رئيسيتين هما المحاضرة والمناقشة.

وما يمكن الإشارة إليه هو أن طريقة المحاضرة تغيّب الجانب التطبيقي للدرس النحوي، فالمتعلم يتلقى القواعد ويحفظها عن ظهر قلب، ولكن عندما يطلب منه التطبيق يصعب عليه ذلك، حيث نجد كثير من المتعلمين يحفظون القواعد، ولكن عندما يطلب منهم إعراب كلمة ما أو تحديد نوعها وحركة إعرابها مثلا لا يستطيعون ذلك.

وللأسف لازالت الجامعة المغربية تستخدم هذه الطريقة في التعليم والتعلم، وقد أجانب الصواب إن قلت بأن طريقة المحاضرة لا تصلح لتدريس النحو العربي، كون تدريس هذا الأخير يحتاج الفهم والتطبيق والتمرن لا الفهم والحفظ فقط، فطريقة المحاضرة لا تساعد المتعلم في بناء تعلماته بل تقوم بملء ذاكرته بمعلومات لا يستطيع استخدامها عند حاجته إليها.

وإذا كانت الملفات الوصفية الخاصة بالمواد التي تدرس بالجامعة تركز بالأساس على الجوانب التربوية والبيداغوجية التي تضبط مسار التعليم والتعلم في المسالك الجامعية، فإن

الملف الوصفي الخاص بمادة النحو العربي لا نجد فيه أثرا لأنواع الطرائق أو الأساليب المتبعة في تدريسها، وإنما اكتفى بذكر أنواع الحصص التدريسية (نظرية/ تطبيقية) مع غياب أيضا لأدوات التقويم، مع الاكتفاء بتحديد صيغه العامة (كتابي – شفوي) مع أن السائد هو الاختبار الكتابي في نهاية كل وحدة.

وما نستنتجه بخصوص أدوات التقويم هو أن الملفات الوصفية لمادة النحو العربي اقتصرت في الغالب على التقويم الختامي نهاية كل فصل دراسي، وهي بهذا أغفلت وما كان ينبغي لها ذلك أنواع التقويم الأخرى التشخيصي ودوره في البدء من حيث يوجد الطالب، والتكويني وأهمية في قياس مستمر لتحقق التعلم من عدمه.

على سبيل الختم

إن تدريس اللغة العربية -اليوم- عموما، وتدريس النحوي العربي كأحد فروعها خصوصا، في أمس الحاجة إلى البحث عن بدائل قادرة على تطوير استعمال اللغة العربية، وهذا لن يتأتى إلا بتحديث مناهجها وتطوير طرائقها وحل مشكلاتها التربوية بشكل عام في ظل الحقائق اللسانية والتربوية والنفسية والاجتماعية المتجددة في حقل اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات. وتأسيسا على ذلك، يمكن القول بأن رسم مجالات وآفاق البحث التربوي في مناهج تدريس مادة النحو العربي يقتضي وبالضرورة إعادة النظر في استراتيجيات تدريسها، وتجريب أنماط جديدة، والاجتهاد في أجرأتها بما يراعي خصوصية المرحلة الجامعية وأهدافها، وخصوصية المحتوى المدرس، وخصوصية طرق وأساليب التعليم والتقويم التي ينبغي أن تتميز بالإبداع والدقة.

ومما يمكن اقتراحه والتوصية به لتجويد مخرجات الدرس النحوي بالمستوى الجامعي ما يلي:

- إعادة بناء الملفات الوصفية للدرس النحوي، وذلك بفهم تربوي عميق يصحح ما تم بيانه.

- استحضار خصوصيات الدرس النحوي من أجل وضع منهاج يصلح لتدبيره، ومن تلك الخصوصيات تكامله مع درس الصرف.

- الاستفادة من تنوع طرائق التدريس، وكذا استثمار آليات التعلم المُؤَلَف في تدريس النحو العربي لما يوفره من طرق تعليمية متنوعة من خلال المزج بين أنماط نقل مختلفة، وكذا أدواره الطلائعية في تجويد مخرجات التدريس، ولما له من فائدة بيداغوجية قد تخصب النقاش حول سبل البحث عن مكملات لتعزيز الأجوبة المفترضة عن واقع تدريس النحو بالمستوى الجامعي.

لائحة المصادر والمراجع

- ابن الجني، المصنف في شرح كتاب التصريف للمازني، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة، ط1، ج1، 1954.
- الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط1، مصر 1979.
- دة. سميرة حيدا، الدرس النحوي بالجامعة المغربية -الواقع والمأمول- ورقة قدمت ضمن أعمال الندوة الدولية البحث التربوي وتجديد المناهج التعليمية، مطبعة آنفو، المغرب، 2017.
- صادقي مصطفى، منهاج تدريس الفقه دراسة تاريخية تربوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 2012.
- عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، مصر، 1995.
- محمد الدريج، مدخل إلى علم التدريس- تحليل العملية التعليمية- قصر الكتاب، البليدة، 2000.
- محمد عيد، في اللغة ودراستها، القاهرة، عالم الكتب، 1974.
- مديرية المناهج، التوجيهات التربوية الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، المغرب، 2007.
- المروني المكي، البيداغوجية الجامعية، أعمال الندوة المغاربية: علوم التربية والتنمية، مجلة التدريس، ع 17، كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس السويسي، الرباط، 1991.
- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر، الملف الوصفي، لنيل شهادة الإجازة في شعبة اللغة العربية وآدابها، 2014.
- ويا الحسين، مقاربات تربوية جديدة، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2008.